العداء والفنـــــاء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عفا الجانى وقـد بلغ التشفى ... وبعض العفو من فرح الشمات[1]

(للناظم)

قـد يُعَزِّيك شامت يتشفى ... باجتـلاء الآلام لا بالعزاء

(للناظم)

مقدمة القصيدة :

إن العفو لا يكون من المظلوم المجني عليه وحده بل قد يكون أيضاً من الجانى الظالم إذا أقنع نفسه أنه المظلوم ، أو إذا أقنع الناس كي ينال عطفهم ومساعدتهم له فى ظلمه وشره . وكثيراً ما يساعد الناس الشرير فى شره اعتقاداً منهم أنه هو المظلوم أو . لأن مساعدته فى الغرض المظلوم فرصة لاراحة ميل كثير من الناس لالتذاذ القسوة كما هو الحال فى مرض السادزم عند إطلاق هذا المصطلح عليه فى المعنى الأعم ؟ وهذا النوع من العفو الذى يجود به الظالم إنما هو من فرح الشماتة ، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذى يعزي المصاب ويخفي فرح الشامت ويظهر الأسف ، وهو إنما يعزى كى يرى آلام المصاب أثناء التعزية . وهذه القصيدة تصف النفس الانسانية بين عواطف الخير والشر ، وقد تجتمع الأضداد منها فى نفس واحدة من غفران وشمات ، ومن حقد الحياة وصفح الممات ، كما تصف عبث شقاء الحروب بين الأمم التى يتحالف بعدها الخصوم ويتعادى الأصدقاء

القصيدة :

إذا ما دنا الموت من هالك ... وأيقن ألا يطول البقاء

وقد زال ما كان مِنْ نشوة ... ومن شرَّةٍ نال عنها العزاء[2]

ولاح له عيشـــه ماثلا ... وقد بُزَّ عما جناه الرياء[3]

وأُفْهِمَ ما كان من حرصه ... وأبصر ما قـد طواه الخفاء

يُرَى آسفاً أنْ عدا أو جنى ... وأنْ كان منه الأذى والعداء

وليس يُرَى آسفاً لاغتفار ... دعاه قـديماً فَلَبَّى الدعاء[4]

فليس على صفحه آسـفاً ... ولـكنْ على النَّيْلِ ممن أساء[5]

(١) الشمات : هو الشماتة

(٢) نشوة الحيـاة سكرة غرورها والشرة بكسر الشين نشاط الشباب الحيوى (٣) بز خلع ونزع

(٤) أى لا يأسف إذا فقد شرة الحياة على فلتات اغتفاره فى الماضى

(٥) النيل من العدو وإصابته بالشر

أيأسف أنْ ضاع ثأر سُـدًى ... ومُتِّعَ خصم له بالبقاء[1]

عدوان عاشا على إحنة ... وباعا السماحة بيع الإماء[2]

أباحا النِّفَاقَ وكيد اللئام ... لنيل الحطام وكسب الهباء

إذا ما دنا الموت من واحـد ... أيشمت خصم له بالفنـاء

أيفرح مثل الجبـان استراح ... وبُشِّرَ بالأمن بعـد العداء

أيطعنه طعن نذل خصيا ... صريع التراب مُراق الدماء

ومرأى الحمام كمرأى السَّقَام ... يُذِلُّ المُثُلَّ ويُخْزِي الجفاء[3]

هو الموت يَشْفِي قلوب العدى ... ويختم بالصلح حرب البقاء

وقد يُطْلَبُ الصلح من فرحة ... تعير الشماتة ثوب السخاء[4]

وكم من عـــداء غدا أُلْفَةً ... فيا عبثـا إذ تراق الدماء

كم احتربت أمم ثم عادت ... كأنْ لم تذق فى الحروب الشقاء[5]

ألم تسمع الأرض نوح الجريح ... يُوَدِّع حتى جنون الرجاء

أما اختلطت بالصديد الدماء ... أما أفعم الموت نَتْنَ الهواء[6]

وكم عُنُقٍ لقتيـــل ، به ... عضاضُ عدو صريع العداء[7]

عضاضٌ يحاول خلد الضغائـــن فى جسد خَلْقُهُ للفنـاء

فيـا عبثاً لجهود الأنام ... سيمضى الرخاء ويمضى العناء

ويُصْبِحُ من كان خصماً لدودا ... عزيزاً ويُبْغَضُ إلْفُ المساء[8]

عبد الرحمن شكرى

(١) هـذا التساؤل معناه هل يحالط اغتفاره أسف الحقد لضياع ثأره وبقاء خصمه وقد قلنا فى المقدمة أن الصفات المتضادة قد تختلط فى النفس

(٢) الأماء : الجواري . الأحنة : الحقد

(٣) السقام بفتح السين السقم والمثل الغليظ الشديد الجافى

(٤) السخاء الكرم : أى أن الصلح قد يكون من فرحة الشامت بالظفر فيظن العفو كرما

(٥) احتربت تحاربت قال البحترى (إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها)

(٦) الصديد هو القيح وأفعم ملأ وأترع والنتن خبث الرائحة

(٧) العضاض العض وقد لوحظ بين القتلى بعد المعارك قتيلا أنشب أسنانه فى عنق قتيل آخر قبل الممات واستمر فى الموت على هذه الحالة

(٨) أى بين مساء وصباح يصير العدو صديقاً والصديق عدواً وكأنما قد ضاع شقاء القتلى سدى